سلسلة أدب الفتوة

الشيخ
طاهر الجزائري

عميد المكتبات

سهيل الخالدي

منشورات وزارة الثقافة
الجزائر

01

obeikan.com

سلسلة أدب الفتوة

تحت اشراف:

د. ربيعة جلطي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2005

obeikan.com

أسرته ومولده

كانت قرية سمعـــــون من بني وغليس الواقعـــــة في وادي الصومـــام من ولاية بجاية في الشمـــال الشرقي من الجزائر، تشارك في المقاومة الوطنيـــة التي قادهـــا الأمير عبد القادر الجزائـــري ضـــد الاحتلال الفرنسي عام 1830م للميلاد.

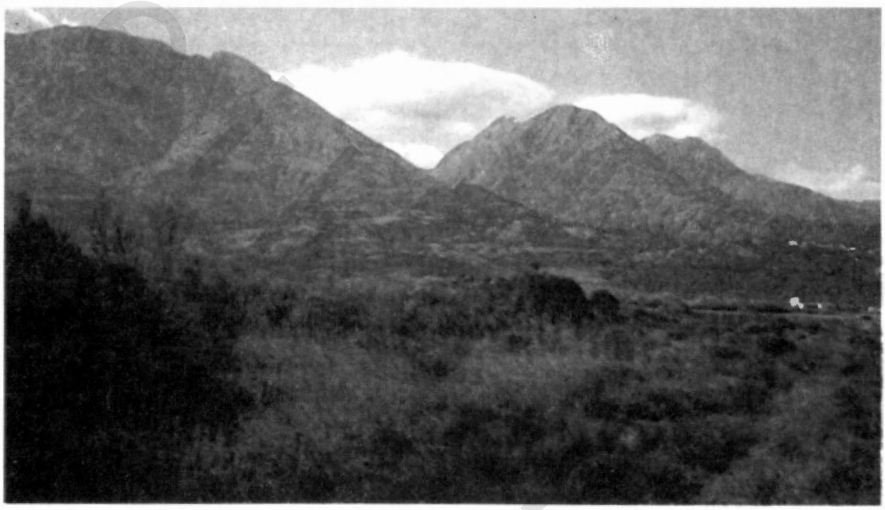

وكان على رأس المقاومين الأبطال في قـــرية سمعون شـــيخ جليل يدعى أحمد الصالح السمعوني، وله عدة مؤلفات في الدين والتاريخ.

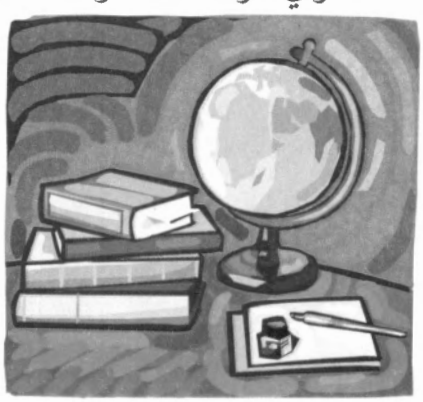

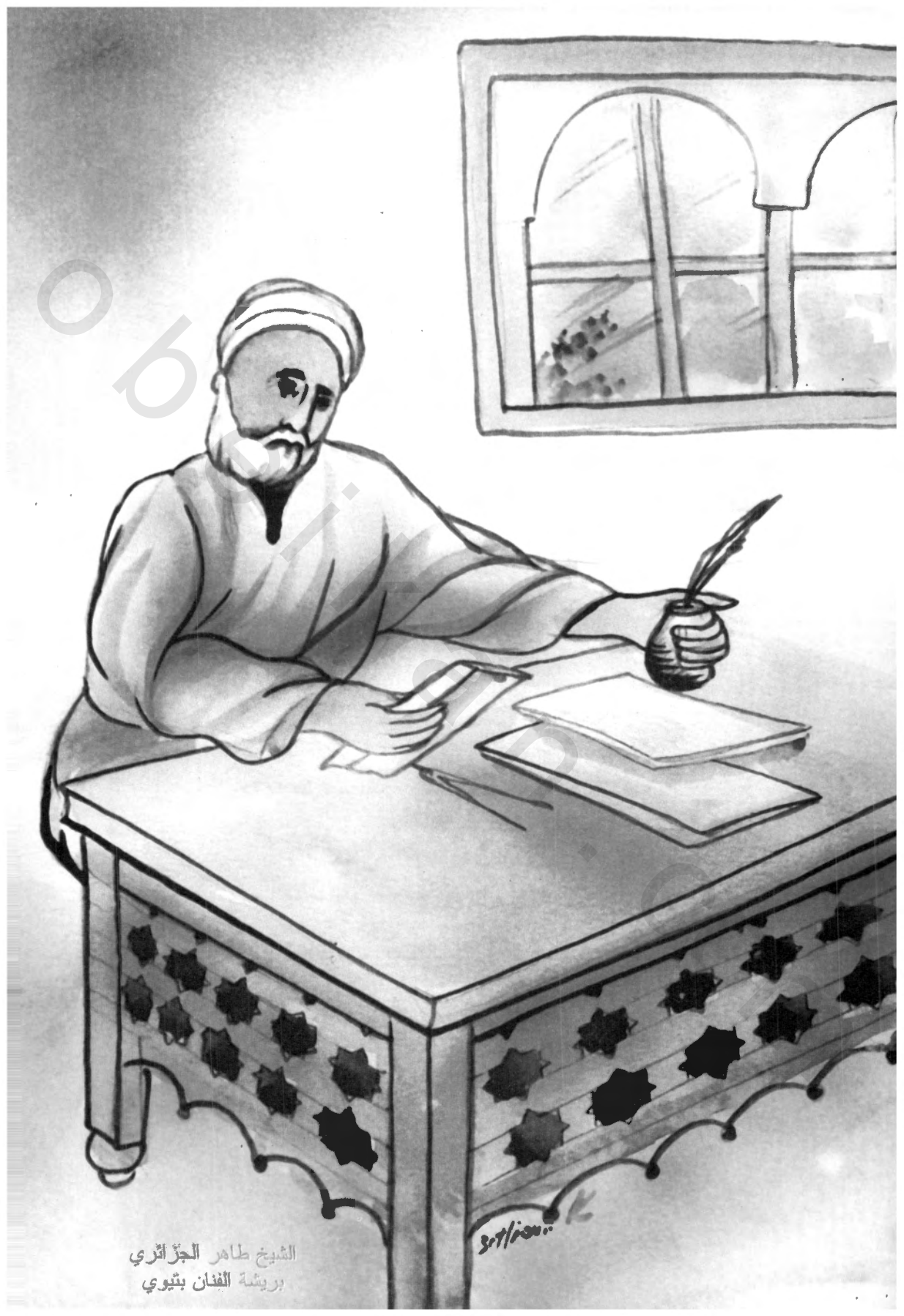

الشيخ طاهر الجزائري
بريشة الفنان بتيوي

استمر هذا الشيخ في مقاومة المحتلين الفرنسيين حتى عام 1847م حيث هاجر مع رجال دولة الأمير عبد القادر إلى جزء آخر من بلاد العروبة والإسلام فاستقبلهم أهل دمشق الفيحاء عاصمة بلاد الشام بكل ترحاب ومحبة ومنحوهم المساكن والمزارع وعاملوهم كإخوان أشقاء مجاهدين مكافحين.

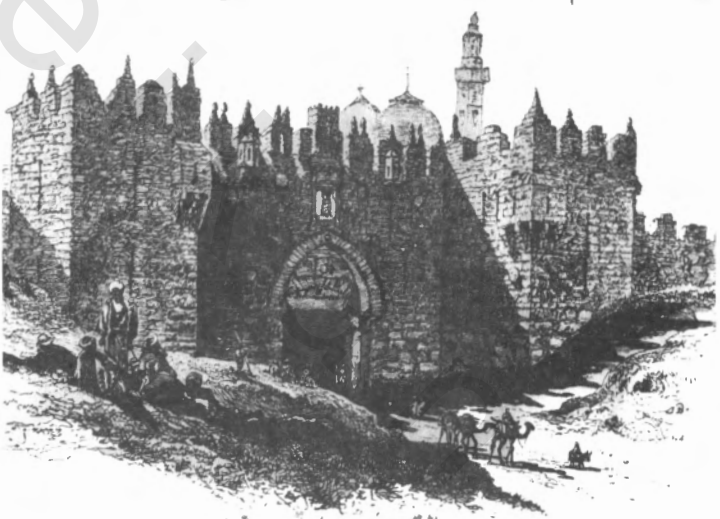

سور القدس بوابة دمشق

وسكن الشيخ أحمد الصالح السمعوني في بيت كبير مبني على الطراز العربي الإسلامي الجميل، في وسطه نافورة ماء وتحيط به من الداخل أشجار الياسمين، ومن الخارج مختلف أنواع الورود. كان ذلك البيت يقع في حي العمارة أرقى أحياء دمشق، الملاصق لمسجدها الكبير المعروف بالمسجد الأموي.

وكان الشيخ أحمد الصالح السمعوني يلقي كل يوم درسا دينيـــا على المصلين بعد صلاة العصر في ذلك المسجد فأعجب الدمشقيون بعلمه الغزير فازدادوا له احتراما وتقديرا. وفي عام 1852م رزق هذا الشيخ الجليل بطفل أسماه محمد الطاهر.

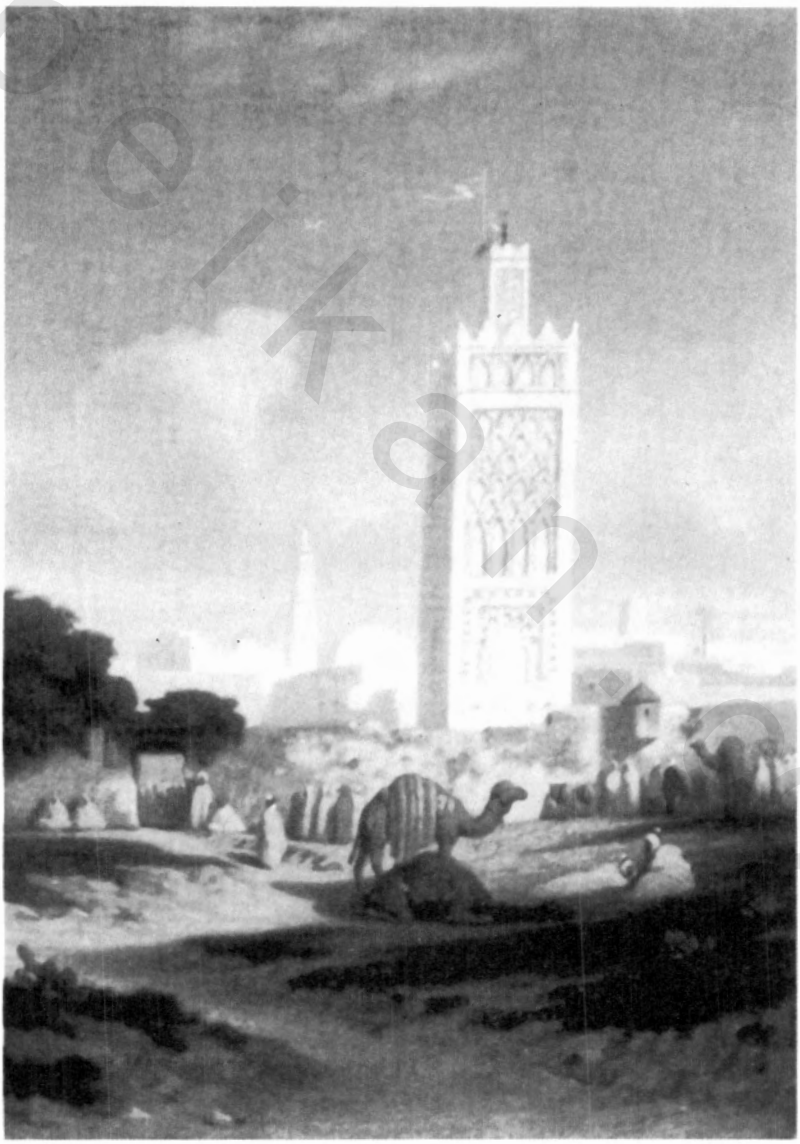

نشأته وتعليمه

نشأ محمد الطاهر في بيت والده الذي علمه القراءة والكتابة، و لما شعر بنباهة ولده وإقباله على قراءة الكتب الموجودة في المسجد الأموي و في المساجد القريبة الأخرى، فتح له خزانة كتبه التي تضم كتبًا أحضرها معه من قرية سمعون وأخرى اقتناها من عدة بلدان عربية وإسلامية، وكلها كتب في الدين واللغة والأدب والتاريخ وعلم الفلك والحساب، فأقبل عليها الطاهر يقرأ ويسأل والده عن كثير من المسائل التي لم يفهمها وأبوه الصالح يشرح له تلك المسائل.

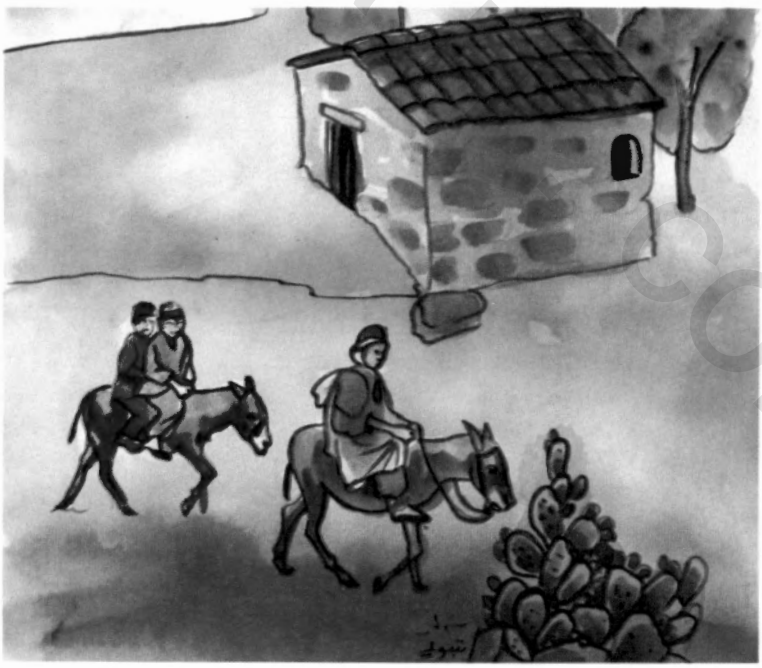

ولما صار الطفل فتى يافعًا أرسله والده إلى مدرسة قريبة تدعى المدرسة الجقمقية وهي ملاصقة لقبر صلاح الدين الأيوبي البطل الإسلامي الذي حرر القدس الشريف من الاحتلال الصليبي قبل ثمانمائة عام ولا تبعد هذه المدرسة سوى بضعة أمتار عن بيت الفتى طاهر وأسرته في حي العمارة وكان الأمير عبد القادر نفسه وهو عالم كبير من علماء الدين إضافة إلى أنه مجاهد كبير، يلقي دروسًا صباحية في هذه المدرسة فأحبه الفتى طاهر حبا شديدا.

ولكن طاهر لم يكتفي بدروس الأمير والتعلم في الصباح بل كان يذهب بعد صلاة الظهر إلى مدرسة صاحبها أحد أكبر علماء الشام يقال له الشيخ الميداني، فتلقى على يدي ذلك الشيخ علوما كثيرة.

وقبل أن يبلغ السادسة عشرة من عمره ألف طاهر كتابا عن البلاغة في الأدب العربي، وكتب له مقدمته الأمير عبد القادر بخط يده وذلك لنباهة وذكاء وعلم هذا الفتى.

لكن طاهر لم يقف عند إتقان اللغة العربية والقبائلية بل تعلم عدة لغات حتى صار لوحده قاموسا لغويا، فقد أتقن الفرنسية والانجليزية والألمانية والتركية ومن اللغات القديمة أتقن الفارسية والعبرية والحبشية.

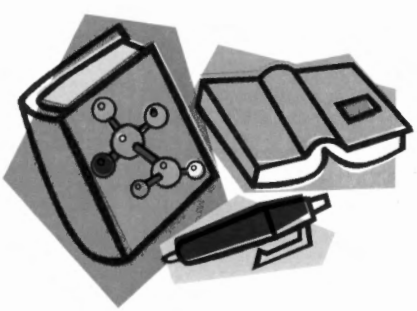

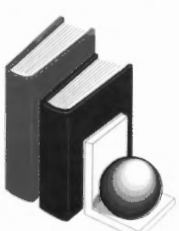

obeikan.com

الشيخ طاهر الجزائري

تأسيسه المدارس العصرية

لأن الأتراك لم يكونوا يهتمـــون بنشر التعليم في بلاد العـــــرب والمسلمين لذلك لم يكن في بلاد الشام (أي سورية ولبـــنان والأردن وفلسطين) أي مدرســـة عصرية حســـب النظم الحديثة التي عرفتها أوروبـــا، يدرس الأولاد فيها مختلف العلوم، فكل المدارس الموجودة زمن الشيخ طاهر الجزائري هي مدارس المساجد ومنها المدارس التي افتتحها الجزائريون الذين هاجروا مع الأمير عبد القادر، زملاء أحمد الصالح والد الشيخ طاهر.

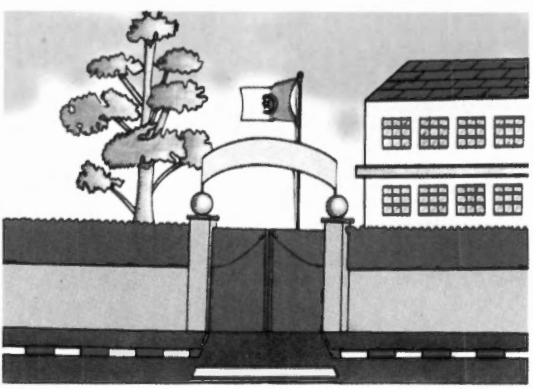

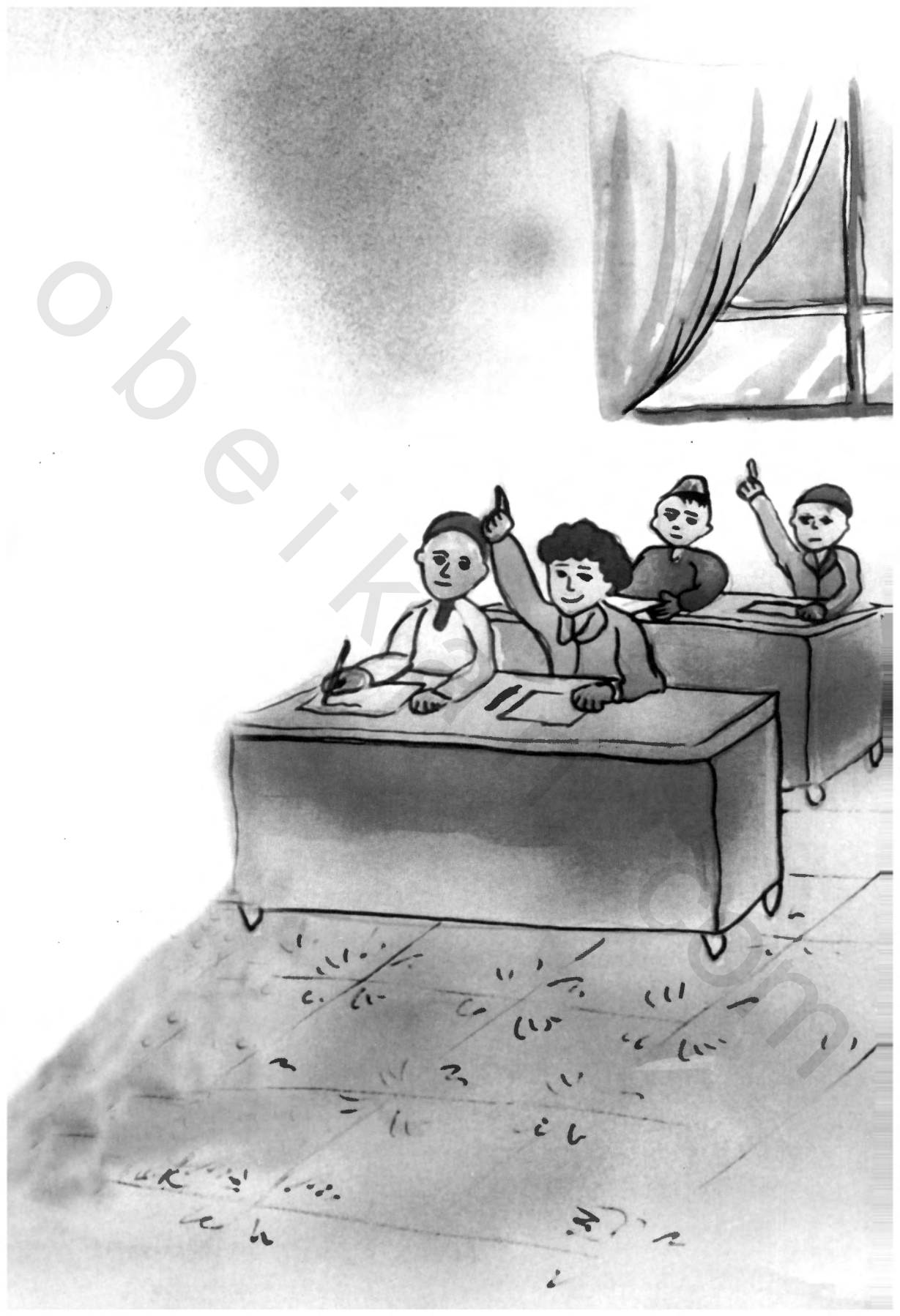

وكان الشيـــخ طاهرا شغوفا بتأسيس المدارس العصرية ويحـــض المسؤولين الأتراك على ذلك، لكن أحدا لم يستجب لدعوتـــه، فظلّ يواصل دعوته لأنه يؤمن بأن الإســـلام هو دين العلم والمعرفة فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الشريف "طلب العلـــم فريضة على كل مؤمـــن ومؤمنة، ويقول أيضا" "اطلبوا العلم ولـــو في الصين".

لذلك كان الشيخ طاهر الجزائري يواصل حث المسؤولين الأتراك على فتح المـــدارس العصرية ولم يستجيبوا له وبدأوا يتهمونه بأنه يعمل ضد السياسة التركية ويحرّض العرب والمسلمين للثورة على الحكم التركي الأجنبي. ثم عينت تركيا واليا على بلاد الشام يدعى مدحت باشا وهو صديق حميم للشـــيخ طاهر

الجزائري ومقتنع بفكرة نشر التعليم وتأسيس المدارس، فعينة ناظرا للمعارف فابتدأ الشيخ طاهر بتأسيس المدارس العصرية في دمشق عرفت أولاها باسم مدرسة عنبر نسبة لصاحب البناء، فكانت مدرسة ابتدائية وثانوية ضمت مئات التلاميذ النجباء وأسس مدارس أخرى في القدس ويافا وصيدا وغيرها من مدن بلاد الشام بلغت 11 ثانوية ، وعددا كبيرا من المدارس الابتدائية، فأخذ التعليم ينتشر سريعًا بين الأجيال.

جامعة دمشق

و لم يتوقف الشيخ طاهر عند حدود تأسيس المدارس، بل راح يؤلف الكتب التي يدرس منها التلاميذ، حيث ألف كتبا في اللغة العربية والأدب والحساب والهندسة والفقه وسائر العلوم الدينية والدنيوية وشجع التلاميذ على إتقان العربية لغتهم الوطنية وعلى تعلم اللغات الأجنبية الأخرى، كما شجع المعلمين على تأليف الكتب وطبعها ونشرها.

تأسيسه المكتبات الوطنية

المكتبة الوطنية- الجزائر

وكان الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله يحب الكتب حبا جما، يسافر إلى أي مكان يعرف أن فيه كتابا نـــادرا من الكتـــب القديمة المخطوطة فيشتريه ويعيد إصلاحه وترميمه وتجليده فاجتمعت له مكتبـــة عظيمة، وتمكن من إقـــناع المسؤولين بعد نهاية الحكم التركي عام 1918م ضرورة تأســـيس مكتبـــة وطنية عامة، يتمكن طلاب العلم والباحـــثين من القـــراءة والمطالعة فيها وتحضير البحوث العلمية، فأعطوه مكانا في أحد أحياء دمشق القديمة، كان مدرسة تدعى مدرسة الظاهر بيبرس ومغلقة منذ مئات السنين، فحولها إلى مكتبة وطنية إذ نقل إليها كتبه ومخطوطاته التي كان يشتريها أو التي تبرع بها كثير من العلماء.

وهكذا قامت أول مكتبة وطنية عامة في البلاد العربية، لا تزال قائمة حتى الآن، ثم أسس مكتبة أخرى شبيهة في مدينة القدس الشـــريف قرب المسجد الأقصى المبارك.

obeikan.com

مقاومته الأتراك

كان للشيخ طاهر الجزائري بـــفضل إتقـــانه للعديد من اللغات أصدقاء كثيرون من علماء أوروبا خاصة الانجليز والألمان ويعرف أن الأمم الأوروبية تقدمت بسبب المعرفة والعلم التي يقبل عليها الفتيان والشباب... وبداية هذا العلم هو في أن يتقن الفتيان لغتهم الوطنية.

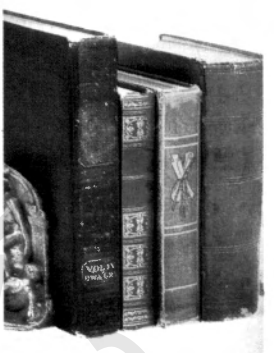

وكانت تركيا التي تحكم المشرق العربي في ذلك الوقت متحـــالفة مع فرنسا التي كانت تحكم المغرب العربي، لتحطيم اللغة العربية وهي اللغة الوطنية للعرب في المشـــــرق والمغرب، ومنع تعليمها للأطفال والفتيان والشباب. فراح الشيخ طاهر الجزائري ينشر العربية وعلوم الدين، والعلوم العصرية وأسس لذلك جمعية ثقافية سرية اسمها جمعية النهضة انضم إليها العديد من المثقـــفين، فأخذت تركيا تلاحقـــــه وتطارده من مكان إلى مكان، ففرّ من دمشق إلى القدس الشريف ثم إلى مصر.

وفي مصر عرف العلماء الأجلاء قدره وقيمته العلمية، فقدموه إلى حاكمها الذي كان يدعى "الخديوي" فاستقبله وحاوره وأمر بعد أن عرف قدرته العلمية بإكرامه وتخصيص مرتب شهري له، لكن الشيخ طاهر الجزائري، اعتذر بلباقة وفضّل أن يعيش من قلمه، حيث كان يكتب في بعض الصحف المصرية، وخصص له صديقه وتلميذه العالم الجليل محب الدين الخطيب جزءا من منزله في القاهرة يسكنه.

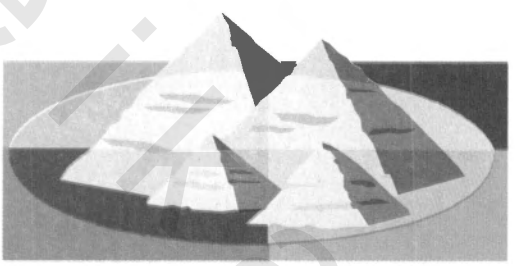

والتقى فيه بعدد من العلماء والطلاب الجزائريين الذين كانوا يدرسون في الجامع الأزهر في القاهرة ومن بينهم الشيخ أبو يعلى الزواوي.

وقد اشتاق الشيخ طاهر الجزائري لرؤية بلدة أبيه وأجداده وعائلته

في سمعون بوادي الصومام من ولاية بجاية فرحل إلى تونس والتقى بالعلماء التونسيين والجزائريين المقيمين فيها، لكن السلطات الفرنسية الاستعمارية منعته من دخول الجزائر والوصول إلى أهله، غير أنه تسلل سرا إلى بجاية وبلدة سمعون والتقى بعائلته ومكث لديهم ثلاثة أيام، ثم عاد إلى تونس ورجع إلى القاهرة وفي هذه الأثناء كان تلاميذه من أعضاء جمعية النهضة قد أسسوا حزبا سياسيا باسم العربية الفتاة وصمموا على إجلاء تركيا عن المشرق العربي، وكان لهذا الحزب فرع عسكري يسمى جمعية العهد على رأسه ضابط كبير يدعى عزيز المصري، ويساعده ضابط آخر يسمى سليم السمعوني الجزائري، وهو ابن شقيق الشيخ طاهر وفي عام 1918 تمكنت هذا الحزب من اجلاء الأتراك عن بلاد الشام.

مملكة عربية مستقلة.

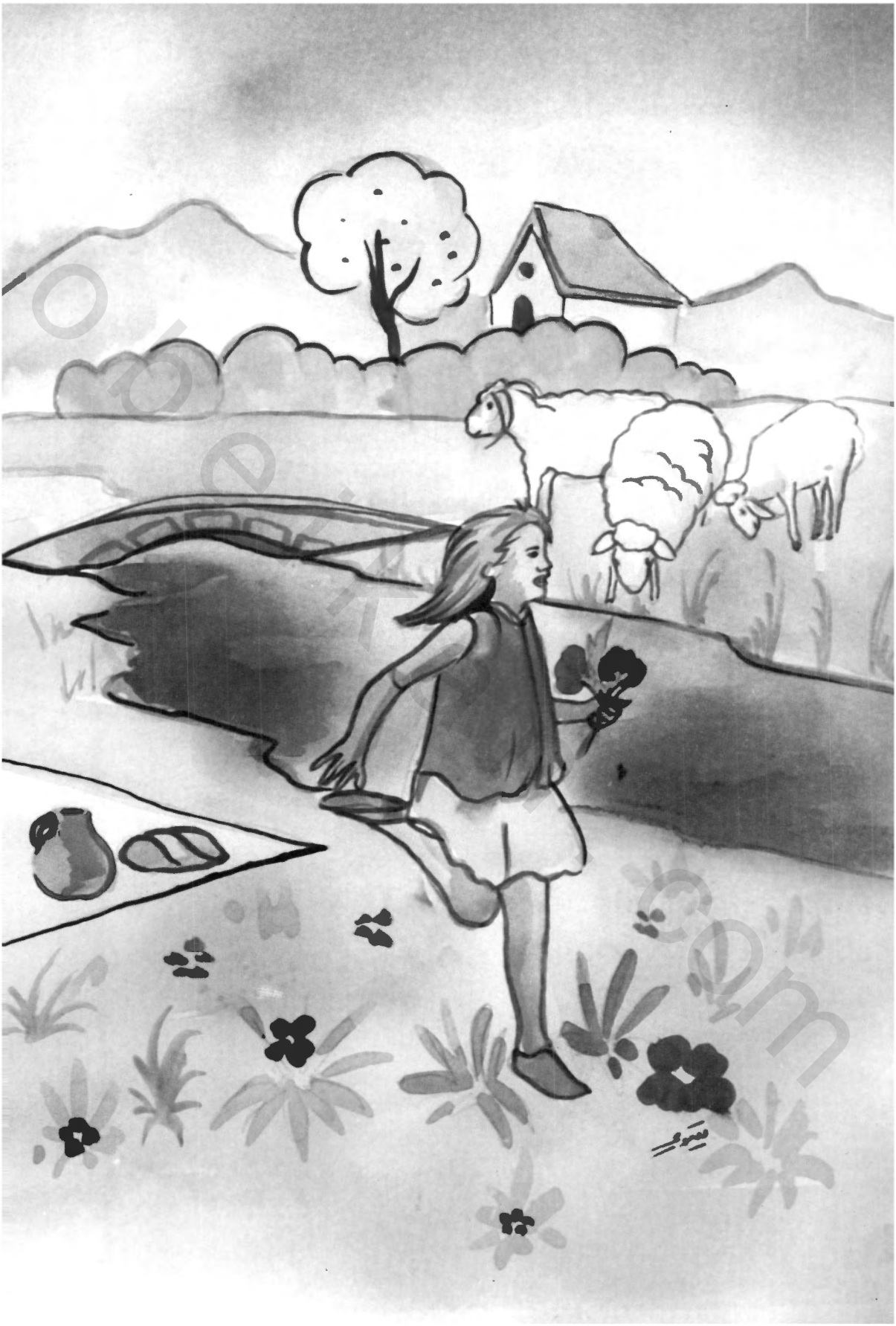

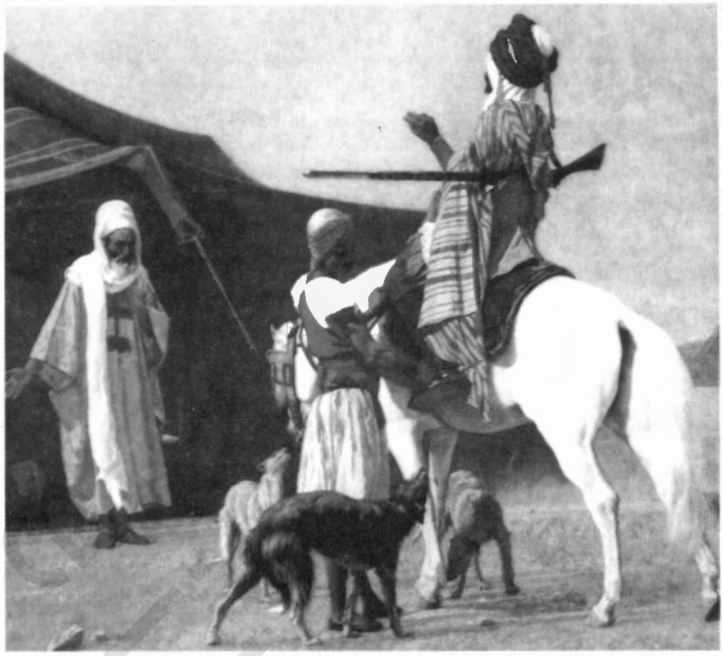

فارس بريشة الفنان بول أنجر

عودته من المنفى ووفاته

ما أن أعلنت المملكة العربية المستقلة في بلاد الشام، حتى استدعى ملكها فيصل بن الحسن الشيخ طاهر الجزائري من مصر إلى دمشق مسقط رأسه ليتسلم مسؤولية التعليم فيها وكان ذلك في عام 1919 وبالفعل عاد الشيخ فرحًا بانتصار تلاميذه رغم خسارته لابن شقيقه الذي أعدمته تركيا مع عدد من تلاميذه وأصدقائه العلماء الذين قتلهم حاكمها جمال السفاح.

ومنذ لحظة عودته أعاد الشيخ المدارس التي أغلقتها تركيا في غيابه وفتح مدارس جديـــدة، وأعاد المكتبة الظاهرية وبدأ يجمع الكتـــب من جديد.

ثم بدأ يؤسس في المبنى المقابـــل للمكتبـــة الظاهرية المجمّع العلمي العربي، وهو أول مجمّـــع علمي من البلاد العربية المشرقية والمغربيـــة على حد سواء.

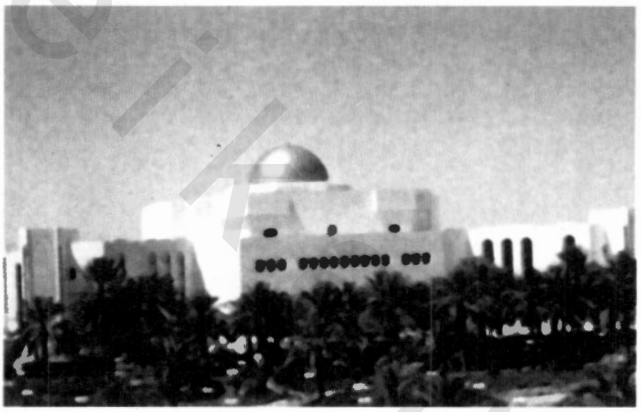

مكتبة فهد الوطنية-السعودية

لكن الشيخ طاهر، توفي عام 1920 قبل الإعلان عن هذا المجمع، وحزنت لوفاته بلاد الشـــام ومعها جميع العرب والمســـلمين، ودفن الشيخ في مقبرة جبل قاسيون، بجانب قـــبر "ذو الكفل"، وهو أحـــد الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وخلدته دمشق فأطلقت اسمه على العديد من شوارعها ومدارسها ومؤسساتها العلمية، وأصدرت العديد من الكتب التي تتناول

سيرة حياته وواصلت المشروعات الثقـــافية والعلمية، فتولى تلميذه العلامة محمد كرد علي رئاسة المجمع العلمي العربي، ثم أسست مصر مجمعا آخر على غراره وكذلك فعل العراق، وبدأت المجمعات العلمية خاصة التي تعنى باللغة العربية والترجمة تنشر في كل البلدان العربـــية ومنها الجزائر.

obeikan.com

وقـــد أطلق على الشـــيخ طاهر الجزائري رحمه الله رائد النهضة العربية وسجل اسمه في التاريخ الحديث للعرب والمسلمين كواحـــد من ثلاثة علماء صنعوا النهضة العربية الإسلامية الحديثة في القـــرنين التاسع عشر والعشريـــن وهم الشيخ محمد عبده في مصر والشيـــخ عبد الحميد بابن باديس في الجزائر والشيخ طاهر الجزائري في الشام، رحمهم الله جميعا.

محمد عبده

طاهر الجزائري

عبد الحميد بن باديس

obeikan.com

مواقفه

كان الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله صاحب مواقف فكرية وسياسية ثابتة، إذ أنه وقف ضد الاستبداد التركي في المشرق العربي، وتصدى لمحاولات تركيا الواسعة، لإلغاء اللغة العربية وإحلال اللغة التركية محلها، فنشر اللغة العربية بين الأجيال، كما اهتم بنشر تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة ووقف ضد سياسة تركيا في تشجيع الفتنة بين النصارى والمسلمين في بلاد الشام، كذلك وقف ضد الطرقية ورجالها "الدراويش" الذين كانوا يرتزقون من الدين ويجعلونه وسيلة لكسب المال.

لوحة بريشة الفنان فرديريكو بارتوليني

كما وقف ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر وعموم المغرب العربي، ووقف ضد الاستعمار البريطاني أيضا.

محارب بريشة الفنان جوليو روساتي

وبسبب هذه المواقف التي كان يعلنها في المساجد والصحف التي كان يكتب بها باسمه الحقيقي أو بأسماء مستعارة، كانت تركيا تطارده من مكان إلى مكان لكنه كان دائم الحذر ودائم التنقل وكان جاهزا للسفر في كل لحظة حيث يرتدي سروالين وقفطانين ويضع خبزا في جيوبه ويحمل مطرية بيده، فما أن يحس بجواسيس لتركيا حتى يغادر على الفور ويسافر ماشيا ووحيدا إلى قرية أو بلدة أخرى.

و لم تتمكن تركيا من القبض عليه و بسبب هذه المواقف عاش الشيخ طاهر الجزائري فقيرا، ورفض أي مرتب أو هدية من الحكام سواء من بلاد الشام أو في مصر.

ولذلك لم يتزوج، لكنه رعى ابن أخيه سليم رعاية كبيرة حتى صار مهندسا وتولى منصبا عسكريا رفيعا في الجيش التركي لكن تركيا أعدمته لأنه كان من مؤسسي جمعية العهد التي كانت تعد الثورة العرب ضد الأتراك، وكان معظم رفقاء سليم هم من تلاميذ عمه الشيخ طاهر الجزائري، ومنهم عمر بن الأمير عبد القادر.

الأمير عمر بن الأمير عبد القادر

تخليده بعد وفاته

بعد أن توفي الشيخ طاهر الجزائري، حزنت عليه دمشق كلها ... وقام تلاميذه من بعده بتخليده عبر عدة إجراءات ومنها استكمال مشروعاته الثقافية فواصلوا تطوير المكتبة الوطنية العامة التي أسسها وعرفت بمكتبة الظاهرية وأسسوا المجمع العلمي العربي الذي رأسه تلميذه النجيب محمد كرد علي، كما واصلوا فتح المدارس والجامعات وأطلقوا اسمه على العديد من ثانويات سورية في دمشق العاصمة وفي المدن الأخرى.

وكذلك واصلوا مقارعة الاستعمار الفرنسي في سورية وفي الجزائر ومنهم الأمير خالد الهاشمي الذي تتلمذ في دمشق على يد الشيخ طاهر، ثم أسس في الجزائر حزب الجزائر الفتاة ليكون النواة

الأولى للحركة الوطنية الجزائرية التي قاومت الاستعمار الفرنسي كما أصدروا عدة كتـــب عن حياة وكفاح هذا الرجل المناضـــل ومنها كتاب "تنوير البصائر في سيرة الشيخ طاهر" وكتاب"طاهر الجزائري وأعلام من مدرســـته" ودونت ترجمة حـــياته في كتب أخرى كثيرة منها: تاريخ علماء دمشق، وأعيان دمشق، الأعلام، الأعلام الشرقية، المعاصرون، معجم المؤلفين الســـوريين، وكذلك وردت ترجمته في بعض الكتب التي تناولت نضال ولاية بجاية مسقـــط رأس والده التي هاجر منها إلى بلاد الشام.

مؤلفاته

لم يترك الشيخ طاهر الجزائري كتابـــا يضم كل علومه وأفكاره، واستعاض عن ذلك بعدة كتب ألفها لفائدة الطلبة والمدرسين، سواء في اللغة أو الأدب أو العلوم الأخرى، فقد كان الشيخ طاهر رحمه الله مهتما بكل العلوم والمعارف الإنسانية باستثناء الغناء وفنونه.

ومن المؤلفات التي تركها الشيخ مطبوعة:

1- إرشاد الألباء

2- أشهر الأمثال

3- بديع التلخيص

4- تدريب اللسان على تجويد القرآن

5- التقريب لأصول التعريب

6- تلخيص أدب الكاتب

7- التمرين على البيان والتشبيب

8- تمهيد العروض إلى فن القروض

obeikan.com

9- توجيه النظر إلى أصول الأثر

10- الجواهر الكلامية

11- مد الراحة لأخذ المساحة

12- حديقة الأذهان

13- ديوان خطب ابن نباتة

14- مدخل الطلاب إلى فن الحساب

15- منبر الأذكياء في قصص الأنبياء

obeikan.com

obeikan.com